قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ رمضان ١٣٠٧ — ٦ الشرطان (ص ١) ١٢٩٧ ه ش ٢٨ يونيو ١٩١٩

امراء اعراب الشام في القرن الثامن

وما كان يكتب لهم من تقليد الامارة من سلاطين مصر

جاء في (ص ١١٨) من الجزء الثاني عشر من كتاب صبح الاعشى في بيان ما يكتب الى الطبقة الاولى من أمراء عربان الشام ما نصه :

تقليد بامرة آل فضل

وهذه نسخة تقليد بإمرة آل فضل[1] : كتب به للامير شجاع الدين « فضل بن عيسى » توخاً عن أخيه مُهنّا ، عند ماخرج أخوه المذكور مع قراسنقر الافرم ومن معهما من المتسحبين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يفارق الخدمة ، في شهور سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، من انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي منح آل فضل في أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلا ، وقدّم عليهم بقديم الاخلاص في الوَلاء من أنفسهم شجاعاً يجمع لهم على الخدمة ألفة وينظّم لهم على المخالصة شملا ؛ وحفظ عليهم من اعتزاز مكان بيتهم لدينا مكانة لا تنقض لها الايام حكما ولا تنقص لها الحوادث فلا

نحمده على نعمه التي شملت برّنا ، الحضر والبدو ، وألهجت بشكرنا ، ألسنة العجم في الشدو والعرب في الحدو ، وأعملت في الجهاد

(١) يراجع ما نشرناه عن آل فضل في الجزء الذي قبل هذا

بين يدينا من اليمملات ما يباري بالنص والعتق الصافنات في الخطب والعدو ؛ ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ندرأ بها الامور العظام، ونقلد بيمنها ما أهم من مصالح الاسلام لمن يجري بتدبيره على أحسن نظام ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى ذوائب العرب وأشرفها ، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عرض الامم وهول موقفها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت بالوفاء أنسابهم ، وأضاءت بتقوى الله وجوههم وأحسابهم ، صلاة لا تزال الالسن تقيم نداءها ، والافلام ترقم رداءها ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد فان أولى من أجنته الطاعة ثمرة اخلاصه ، ورفعته المخالصة الى أسنى رتب تقريبه واختصاصه ، وألف بمبادرته الى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع شملها ، وقلده حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) — من ارتقى الى أسنى رتب دنياه بحفظ دينه ، ودل تملكه بأيمانه على صحة إيمانه وقوة يقينه ، ولاحظته عيون السعادة فكان في حزب الله الغالب وهو حزبنا ، وقابلته وجوه الاقبال فأرته أن المنبون من فته تقريبنا وقربنا ، ورأى احساننا اليه بعين لم يطرفها الجحود ، ولم يطرقها اعراض السعود ، فسلك جادة الوفاء وهي من أبين الطرق طريقا ، واقتدى في الطاعة والولاء بمن قال فيهم بمثل قوله : (وحسن أولئك رفيقا)

ولما كان المجلس العالي ... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة ماحاز ، وفاز من برنا وشكرنا بجميل المبادرة الى الخدمة بما فاز ، وعلم موقع احساننا اليه فعمل على استدامة وبلها ، واستزادة

فضائلها ، والارتواء من معروفها الذي باه بالطرمان (منه) من خرج عن ظلها ، مع ما أضاف الى ذلك : من شجاعة تبيت منها أعداء الدين على وجل ، ومهابة تسري الى قلوب من بعُد من أهل الكفر سُرى ما قرب من الاجل — اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعد على أطراف الممالك المحروسة منه سورا مصفحا بسفاحه ، مشرفا باسنة رماحه

فرسم بالامر الشريف العالي لازال يتلد وليه فضلا ، ويعلا بمالكه احسانا وعدلا — أن يفوض اليه كيت وكيت : لما تقدم من أسباب تقديمه ، وأومئ اليه من عنايتنا بهذا البيت الذي هو سر حديثه وقديمه ، ولملمنا بأولويته التي قطبها الشجاعة ، وفلكها الطاعة ، ومادتها الديانة والتقى ، وجادتها الامانة التي لا تستزلها الاهواء ولا تستفزها الرقى

وليكن لاخبار العدو مطالعا ، ولتجرى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعا ، ولديارهم كل وقت مصبحا حتى يظنوه من كل ثنية عليهم طالعا ، وليديم التأهب حتى لا تفرته من العدو غارة ولا غرة ، ويلزم أصحابه باليقظ لادامة الجهاد الذي جرب الاعداء (منه) مواقع سيوفهم غير مرة ، وقد خبرنا من شجاعته واقدامه ، وسياسته في نقض كل أمر وابرامه ، ما يغني عن الوصايا التي يملاكها تقوى الله تعالى وهي من سجاياه التي وصفت ، وخصائصه التي ألفت وعرفت ؛ فليجعلها مرآة ذكره ، وفاتحة فكره ، والله تعالى يؤيده في سره وجهره ، بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

مرسوم بامرة آل فضل

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل فضل ، كتب بها للامير

حسام الدين ومهنا بن عيسى ، من انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي أرهف حسام الدين في طاعتنا يد من يعصي مضاربه بيديه ، وأعاد أمر القبائل وأمرهم الى ما لا يصلح أمر العرب الا عليه ، وحفظ رتبة آل عيسى باستمرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة في سائر الاحوال منسوبات اليه ، وجعل حسن العفو بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو الى أطراف البلاد المحروسة الا ورده الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقبه .

نحمده على نعمه التي ما زالت مستحقة لمن لم يزل المقدم في ضمائرنا ، المعول عليه في أمور الاسلام وأمورنا ، المعين فيما تنطوي غايبه أثناء سرائرنا ومطاوي صدورنا ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة توجب على قائلها حسن التمسك باسبابها ، وتقتضي للمخلص فيها بذل النفوس والنفائس في المحافظة على مصالح أربابها ، وتكون للمحافظ عليها ذخيرة يوم تقدم النفوس بطاعتها واعمالها وأنسابها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلا وفرعا ، المفروضة طاعته على سائر الامم دينا وشرعا ، المخصوص بالائمة الذين بثوا دعوته في الآفاق على سعتها ولم يضيقوا الجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازوا بصحبته الرتب الفاخرة ، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا والآخرة ، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يزحزحهم عن ظلها الركون الى الدنيا الساحرة ، صلاة تقطع الفلوات ركائبها ، وتسري بسالكي طرق

النجاة بجانبها ، وتفتخر باقامتها كنائب الاسلام ومواكبها ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان أولى من تلقته رتبته التي توسم بإعراضها بأيمن وجه الرضا ، واستقبلته مكانته التي تخيل مصدودها بأحسن مواقع القبول التي تضمنت الاعتداد من الحسنات بكل ما سلف والاغضاء من الهفوات عما مضى ، وآلت اليه إمرته التي خلعت النعل منه وهي به حالية ، وعادت منزلته الى ما ألفته لدينا : من مكانة مكينة وعرفته عندنا : من رتبة عالية ، من أمنت شمس سعادته في أيامنا من المغروب والزوال . ووثقت أسباب نعمه بأن لا يروع مريرها في دولتنا بالانتقاض ولا ظلالها بالانتقال ، وأغنته سوابق طاعته المحفوظة لدينا عن توسط الوسائل ، واحتجت له مواقع خدمه التي لا تجحد مواقفها في نكاية الاعداء ولا تنكر شهرتها في القبائل ، وكفل له حسن رأينا فيه بما حقق مخايله ، وأسعد عواقبه ، وحفظ له وعليه مكانته ومراتبه ، فما توهم الاعداء أن برقه خلب حتى لمع ، ولا ظنوا أن ودقه أقلع حتى همى وهمع ، ولا تخيلوا أن حسامه نبا حتى أرهفته عنايتنا فحيثما حل من أوساطهم قطع ، وكيف يضاع مثله ؟ وهو من أركان الاسلام التي لا تنزل الاهواء ولا ترتقي الاطماع متونها ، ولا تستقر[1] الاعداء عند جهادها واجتهادها في مصالح الاسلام حسبها ودينها

ولما كان الجناب العالي ... هو الذي لا تحول اعتمادنا في ولائه ، ولا يزول اعتمادنا على نفاذه في مصالحنا ومضائه ، ولا يغير وثوقنا به

(١) لعله « ولا تستقل »

مما في خواطرنا من كمال دينه وصحة يقينه، وأنه ما رفعت بين يدينا راية جهاد الا تلقاها عرابة عزمه بيمينه، فهو الولي الذي حسنت عليه آثار نعمنا، والصفي الذي نشأ في خدمة أسلافنا ونشأ بنوه في خدمتنا، والقي الذي يأبى دينه الا حفظ جانب الله في الجهاد بين يدي عزمتنا وأمام همتنا، اقتضت آراؤنا الشريفة أن نصرح له من الاحسان بما هو في مكنون سرائرنا، ومضمون ضمائرنا، ونعلن بأن رتبته عندنا بمكان لا تتطاول اليه يد الحوادث، وبين ان أعظم أسباب التقدم ما كان عليه من كفايتنا وامتنانا أكرم بواعث!

فلذلك رسمنا أن يعاد الى الامرة تلي أمراء آل فضل ومشايخهم ومقدميهم وسائر عربانهم، ومن هو مضاف لهم ومنسوب اليهم، على عادته وقاعدته.

فليجر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها، ولا محيد عن مبدئها في مصالح الاسلام ومآلها، آخذا للجهاد أهبته من جمع الكلمة واتحادها، واتخاذ القوة واعدادها، وتضافر الهمم التي ما زال الظفر من موادها والنصر من امدادها، والزام أمر العربان بتكميل أصحابهم، وحفظ مراكزهم التي لا تسد أبوابها الا بهم، والتيقظ لمكايد عدوهم، والتنبه لكشف أحوالهم في أرواحهم وغدوهم، وحفظ الاطراف التي هم سورها من أن تسورها مكايد العدا، وتخلف من يتطرق الى الثغور من قبل أن يرفع الى أفقها طارفا أو يمد على البعد الى حمتها المصونة يدا، وليبث في الاعداء من مكايد مهابته ما ينهزم القرار، ويحسن لهم الفرار، ويحول بينهم وبين الكرى لاشتراك اسم النوم وحد سيفه في مسمى البرار

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ، فهو ابن بجدتها ، وفارس نجدتها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضمارها ، فيفعل من ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحمد من اعلانه وسريرته ، وقد جعلنا في ذلك وغيره من مصالح امرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضي الله تعالى ورسوله ، ويبلغ به من جهاد الاعداء أمله وسوله ، والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتماد ..

مرسوم شريف بامرة آل علي

ثم جاء في (ص ١٢٤) مما يكتب الى المرتبة الاولى من الطبقة الثانية ما نصه :

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل علي ، كتب به للامير عز الدين «جماز» بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من انشاء المقر الشهابي ابن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كل وسيله ، وأحسن بنا الخلف عمن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله ، ومضى وخلى ولده رسيله ، وأمسك به دمعة السوف في خدودها الاسيله ، وأمضى به كل سيف لا يرد مضاء مضاربه بحيله ، وأرضى بتقليده كل عنق وجمل كل جميله

نحمده على كل نعمة جزيله ، وموهبة جميله ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة ترشد من اتخذ فيها نجوم الاسنة دليله ، وتجعل أعداء الله بعز الدين ذليله ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرم قبيله ، وشرف به كل قبيله ، وأظهر به العرب على العجم وأخمد من نادهم

كل قتيله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة بكل خير كفيله ، وسلم تسليما كثيرا

وبعد ، فان دولتنا الشريفة لما خفق على المشرق والمغرب جناحها ، وشمل البدو والحضر سماحها ، ودخل في طاعتها الشريفة كل راحل ومقيم في الاقطار ، وكل ساكن خيمة وجدار — ترعى النعم بابقائها في أهلها ، والقائها في محلها ، مع ما تقدم من رعاية توجب التقديم ، وتودع بها الصنائع في بيت قديم ، وتزين بها المواكبُ اذا تعارضت جحافلُها ، وتعارفت شعوبها وقبائلها ، واستولت جيادها على الأمد وقد سبقت أصائلها ، وتداعت فرسانها وقد اشتبهت مناسبها ومناصبها ومناضلها ، وكانت قبائل العربان ممن تعمهم دعوتنا الشريفه ، وتضمهم طاعتنا التي هي لهم أكملُ وظيفة ، ولهم النجدة في كل بادية وحضر ، وإقامة وسفر ، وشام وحجاز ، وإنجاد وإنجاز ، ولم يزل (لآل علي) فيهم أعلى مكانه ، وما منهم الا من توسد سيفه وافترش حصانه ، وهم من دمشق المحروسة رديفُ أسوارها ، وفريد جوارها ، والنازلون من أرضها في أقرب مكان ، والنازحون ولهم الى لداربها قطر[1] وأوطان ، قد أحسنوا حول البلاد الشامية مُقامهم ، واستغنوا عن المقارعة على الضّيفان لما نصبوا بقارعة الطريق خيامهم[2] وباهو كلَّ قبيلةٍ بقوم كأثر النجوم عديدهم ، وأوقدوا

(١) المنار : لفظ أقطار هنا لامعنى له فهو محرف عن أوطار أخذا من قول الشريف الرضي : لاينكر الرمل الا حن مغترب له بذي الرمل أوطار وأوطان

(٢) ماخوذ من قول الشاعر :

نصبوا بقارعة الطريق خيامهم يتقارعون على قرى الضيفان

وبعده ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى حطبا على النيران

هم في الينابيع زرًا اذا همى القطر شيبتها عبيدهم (١)، هم من آل فضل حيث كان عليها، وحديثه في المسامع حديث، فلما انتهت الإمرة الى الامير المرحوم شمس الدين محمد بن أبي بكر رحمه الله — جمعهم على دولتنا القاهرة، وأقام فيهم يبتغي بطاعتنا الشريفة رضا الله والدار الآخرة، ثم أمده الله من ولده بمن ألقى اليه همه، وأمضى به عزمه، ونفذ به حكمه، ونقل قسمه

وكان الذي يتحمل دونه مشقات أمورهم، ويتلقى شكاوى آمرهم وأمورهم، ويردُ الى أبوابنا العالية مستمطرا لهم سحائب نعمنا التي أخصب بها مرادهم، وساروا في الآفاق ومن جدّوا بها راحلتهم وزادهم، وتفرد بما جمعه من أبوته وإبائه، وركز في كل أرض مناخ مطيّه ومرمى غبائه، وسلم في الهجرة الى أبوابنا الشريفة المحروم في الدين، وحافظ على مراضينا الشريفة فما انفك من نار الحرب إلا الى نار القرى، وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من السهم في مضائه. كم له من مناقب لا يغطي عليها ذهب الاصيل تمويها! وكم تنقل من كور الى سرج، ومن سرج الى كور فتمنى الهلال أن يكون لها شبيها! كم أجمل في قومه سيره! وكم جمل سريره! كم أثمر لها أملا! كم أحسن عملا! كم سد خللا! كم جمع في مهماتنا الشريفة كل من امتطى فرسا وركب جملا! كم صفوف به تقطعت، وسيوف أتت، ورماح حمائم الملا [illegible] الاعداء ترنمت!

(١) ماخوذ من قول المعري في رائيته :

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وقد العز في الحضر
اذا هوى القطر شيبتها عبيدهم تحت الضمائم للسارين بالقطر

وكان المجلس السامي الأميري الأجلي الكبيري المجاهدي المؤيدي العضدي النصيري الاوحدي المقدمي الذخري الظهيري الاصيلي : مجد الاسلام والمسلمين ، شرف الامراء في العالمين ، همام الدولة حسام الملة ، ركن القبائل ذخر العشائر ، نصرة الامراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين ، جماز بن محمد ، أدام الله نعمته — : هو المراد بما تقدم ، والاحق بأن يتقدم ، والذي لو أن الصباح صوارم والظلام جحافل لتقدم ، فلما مات والده رحمه الله نحا الى أبوابنا العالية ونور ولائه يسعى بين يديه ، ووقف بها وصدقاتنا الشريفة ترفرف عليه ، فرأينا أنه بقية قومه الذين سلفوا ، وخلف آبائه الذين عن زجر الخيل ماعزفوا ، وكبيرهم الذي يعترف له والدهم ووليدهم ، وأميرهم الذي به ترعى عهودهم ، وشجرتهم التي تلتف عليه من أنسابهم فروعها ، وفريدهم الذي تجتمع عليه من جحافلهم جموعها

فرسم بالامر الشريف أن تفوض اليه إمرة آل علي تامة عامة ، كاملة شاملة . يتصرف في أمورهم ، وآمرهم ومأمورهم ، قربا وبعدا ، وغورا ونجدا ، وظعنا واقامه ، وعراقا وتهامه ، وفي كل حقير وجليل ، وفي كل صاحب رغاء وثغاء وصرير وصليل ، على أكمل عوائد أمراء كل قبيله ، وفي كل أمورهم الكثيرة والقليلة

ونحن نأمره بتقوى الله فيها صلاح كل فريق ، واصلاح كل رفيق ، ونجاح كل سالك في طريق والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف ، والمعروف الذي جبلت عليه على وجه الحق من القوي والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجم الغفير والجمع الكثير . والزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا

الشريفة التي هي من الفروض اللازمة عليهم، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمنا المطاعة اليك واليهم، وحفظ أطراف البلاد والذب عن الرعايا من كل طارق يطرقهم الا بخير، والمسارعة الى ما يرسم لهم به ما دامت الاسنة في عصاها سير، والافراج لمرك لا تسمح به الا لمن له حقيقة وجود، وله في الخدمة أثر موجود، ومنعهم: فلا يكون الا اذا توجه منهم، أو توانت عزائمهم وقل تفهم. والمهابة: فانشرها كسمتك في الآفاق، ودع بوارق سيوفها تشام بالشام وديمها تراق بالعراق وخيول التقادم: فارتد منها كل سابق وسابقة تف منهما الرياح، ويحسدهما الطير اذا طارا بغير جناح، ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجة، ولا تقطع عنا أخبارك البهيجة. وليعرف قومه له حقه، ويوفره من التعظيم مستحقه، فانه أميرهم وامره من امرنا المطاع، فمن نازع فقد خالف النص والاجماع، والله تعالى يوفقه ما استطاع، بمنه وكرمه! والخط الشريف...

خلاصة معاهدة الصلح (١)

٢

الفصل الرابع في المواد السياسية في خارج أوربا

حقوق المانية في خارج أوربة — تنازل المانية في خارج أوربة لدول الحلفاء وتنازل الدول المشتركة معها عن ما لها من الحقوق والامتيازات في البلاد التي لها أو لحلفائها وتعهد أن تقبل التدابير التي تتخذها دول الحلفاء الخمس بشأن ذلك

المستعمرات والاملاك وراء البحار — تنازل المانية لدول الحلفاء والدول المشتركة معها عن أملاكها الواقعة وراء البحار مع كل مالها من الحقوق والامتيازات

(١) تابع لما نشر في الجزء الثالث